

تمهيد

فَرَضِيَّةُ (الشعوب السَّامِيَّة، واللُّغَاتِ السَّامِيَّة)

فَرَضِيَّةُ خُرَافِيَّةٌ لَا أَصْلَ لَهَا

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾

[الحجرات: ٦]

obeikandi.com

فَرَضِيَّةُ الشُّعُوبِ السَّامِيَّةِ، واللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ فرضية خرافية – لا أصل لها^(١)

قد تستغرب، أخی القارئ، عندما يقال: إنَّ فرضية الشعوب السَّامِيَّةِ، واللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ.. فرضية خرافية لا أصل لها! وأنت معذور في هذا الاستغراب، لأنك تسمع هذا الإنكار لوجودها. لأول مرّة. ولكنها الحقيقة. كما يتبين لك، من خلال هذا البحث!

– وأنت تذكر أن المعتصم – الخليفة العباسي – قرّر أن ينتقم لشرف امرأة مُسلمة، رفع عِلْج من علوج الرُّوم ثوبها عن جسدها، فقالت: وأمعتصماه! مُستغيثةً بالمعتصم. وقد استدعى المعتصم المنجمين، ليرؤا: متى يستطيع أن يفتح عمورية – بلَد ذلك العِلْج؟ فقالوا: لن تفتح قبل نُضج التين والعنب!

– بيّد أنّ المعتصم ضرب بكلامهم عرض الحائط، فأعدّ جيشاً وتوجّه لعمورية في سنة ثلاث وعشرين ومئتين للهجرة، ففتحها، وحرّقها، وسجّل هذه الواقعة العظيمة الشاعر العباسي العظيم – أبو تمام في قصيدته البائية المشهورة. ثم.. عرّج على المنجمين، فسخر من علمهم، فقال:

.. أين الرواية، بل أين النجوم وما صاغوه من خُرفٍ فيها ومن كذبٍ؟
تخرّصاً، وأحاديثاً مُلفّقةً ليست ينبع، إذا عدت، ولا غرب

– وأنا أقول كما قال أبو تمام: إنَّ ما زعمه العلماء الغربيون المهتمون بالبلاد العربية وباللغات «العربية» هو كتنبؤ المنجمين للمعتصم.. ليس إلا «تخرّصاً وأحاديثاً مُلفّقة».

حقيقة لا يمكن دحضها.. كيف تكشفت لي هذه الحقيقة ومتى؟

– قبل أربعة أشهر تقريبا كنتُ أعدُّ لموضوع طرّقه بعض لغويينا القدامى. وهو أن العربية «الفصحى» إلهامية، وليست اصطلاحية. بيّد أنهم اكتفوا بإحساسهم أن الفصحى لغة عظيمة لا يمكن أن تكون من صنع البشر. وأنا – بعد اطلاعي على كثير من قواعد العربية، ومن قوانين فقهها – اقتنعت. معهم، أنها «إلهامية». ولكنّي رأيت ألا أكتفي

(١) كتبت سنة – ٢٠٠٥.

بهذه القناعة، غير مُدلل عليها تدليلاً علمياً. فأخذت أبحث في كتب (فقه اللغة) - إضافة إلى كتب النحو والصرف.

وفي إحدى الأمسيات كنت أقرأ في كتاب: (دراسات في فقه اللغة - للمرحوم الدكتور صبحي الصالح). فقرأت العبارة الآتية: (والتسمية.. لم تُخترع اختراعاً، فهي مُقتبسة من الكتاب المُقدس الذي ورد فيه أن أبناء - نوح - هم سامٌ وحامٌ ويافثُ، وأنه من سُلالتهم تكوّنت القبائل والشعوب)^(١).

ويقصد بالتسمية تسمية شعوب هذه المنطقة (أي: الجزيرة العربية، العراق، وسوريا الكبرى) «بالشعوب السامية» ولغاتها «اللغات السامية»!!

فَطَرَقْتُ عَقْلِي.. «فكرة»: هَبْ معي أن^(٢) هذا القول لم يرد إلا في التوراة.. أنصَدِّقُه ونأخذ به ونعتمده؟ والتوراة.. غير موثوقة عندنا، لأن رسولنا - صلى الله عليه وسلم - يقول: «لا تُصدِّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم. وقولوا: آمناً بالله، وما أنزل^(٣)». أي: ما أنزل من التوراة والإنجيل، قبل التحريف وما أنزل من القرآن الكريم الذي حفظه الله تعالى من التحريف. والتوراة.. ليست مصدراً موثقاً لثلاثة اعتبارات: الأول - ما ورد في القرآن مثل قوله:

﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كُتِبَتْ أَيْدِيهِمْ وَقَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

والثاني - قول رسولنا الأعظم.. السابق.

والثالث - أن التوراة غير موثوقة^(٤).. أولاً - لما ذكر القرآن من تحريفها.

وثانياً - لأنها لم تكتب إلا بعد وفاة موسى - عليه السلام - بسبعة قرون! (لاحظ.. أن الحديث النبوي الشريف كُتب جُلُّه، بعد وفاة رسولنا - صلى الله عليه وسلم

(١) صبحي الصالح - دراسات في فقه اللغة - ٣٦. دمشق/ مطبعة الجامعة، دمشق - ١٩٦٠م.

(٢) هَبْ أن.. ما ورد في المعاجم العربي هو تعدية (هَبْ) بدون (أَنْ)، أي: هَبْ هذا القول. وقد خطأ الرافي.. طه حسين باستعماله (هَبْ أَنْ). بيد أنني لا أرى ذلك خطأ، لأن (هَبْ) تضمنت معنى (افرض)، وافرض تليها (أَنْ). والكلمة إذا تضمنت معنى كلمة أخرى أخذت حكم هذه الأخرى. وهذا.. كثير في اللغة، فهو قانون لغوي.

(٣) البخاري - محمد بن إسماعيل - صحيحه - ٩٥٣/٢، اليمامة/ بيروت/ دار ابن كثير - ١٤٠٧/ ١٩٨٧.

(٤) غير موثوقة.. شيء، وغير موثوقة.. شيء آخر، فغير موثوقة: لا يُوثقُ بما ورد فيها. وغير مُوثقة: لم يُتبعِ الأسلوب العلمي في روايات أخبارها.

- بقرن إلى قرنين.. ومع ذلك.. فيقال جمع البخارى - رضى الله عنه - مئة ألف حديث. ولكنه لم يُثبت منها فى (صحيحه) إلا ستة آلاف حديث، ونيّفًا. أي: لم يُثبت إلا ستة بالمئة مما جمع^(١) (٦٪). فكيف بكلام لم يُدَوّن إلا بعد سبع مئة سنة؟).

- هذا.. فضلا عن أن الحديث «مُوثَّق» بسلسلة رُواة، والتّوراة ليس لها سلسلة رُواة! ومع هذا.. فلا يزال نقاد الحديث يجدون بعض الأحاديث - الضّعیفة أو الموضوعة، فى صحيح البخارى.. إما لضعف فى سلسلة الرواة، وإما لأن متن الحديث.. فيه قولانُ.
- وفوق هذا.. فقد كُتِبَ معظم التوراة، واليهود فى السَّبِي، فى العراق، مما جعل كثيرا من الأقوال والخرافات الآشورية، والبابلية والسُّومرية.. تتسرّب إليها!
- أبعد هذا.. يصحُّ أن تُتخذ أخبار التوراة مصدرا «موثوقا» إذا لم تدعّمها مصادر أخرى؟ طبعًا.. لا يصحُّ.. إلا إذا دعمتها مصادر أخرى، والمصادر الأخرى.. لا تدعمها.

المصادر الأخرى التى نبحت فيها

لأنها مظانٌ قد نجد فيها شيئا يدعم هذا الخبر بالذات، (وهو أن أبناء نوح عليه السلام، هم: سام، وحام، ويافث) - هى أربعة:

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - الحديث النبوي الشريف.
- ٣ - التاريخ القديم.
- ٤ - النقوش التى استخرجتها الحفريات.

١ - القرآن الكريم

ما ورد فى القرآن الكريم.. يُشير إلى أن ذرية نوح - عليه السلام - هم الباقون: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرُّ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧] دون أن يذكر القرآن أسماء ذريته أو أسماء بعضهم. ثم.. هم الباقون من «قومه» وعلى «التغليب» لا من جميع الأقوام. بدلالة أن الله تعالى قال: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦) وَأَصْنَعِ الْفُلَٰكَ بِأَعْيُنِنَا ووَحِينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ [هود: ٣٦ - ٣٧].

(١) هذا.. إذا صحت الرواية أن البخارى جمع مئة ألف حديث صحيح. بيّد.. أنى شديد الشك فى ذلك.

والمُغرقون هم الذين لم يؤمنوا من - قومه - بدلالة قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورَ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ [هود: ٤٠] وبدلالة أَنَّ الصِّينِيِّينَ والفُرسَ لم يسمعوا بهذا الطوفان. (انظر د. سعد زغلول - تاريخ العرب قبل الإسلام - ٨٣).

- قلت: (وعلى التغليب).. لأن الله العليم الخبير يقول في سورة (الإسراء: ٢، ٣): ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا تَنَزَّخُوا مِن دُونِي وَكَيْلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ فهذا «يعنى أن موسى - عليه السلام - وبنى إسرائيل، من ذرية المؤمنين ذريته هم الباقيين) - من باب التغليب، لأن ذرية مَنْ حُمِلَ معه كذريته هو، لأن المؤمنين إخوة. وإخوة ذريته هم من ذريته كذلك.

- ولأن الله تعالى يقول - مرة أخرى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّن حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّن هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُ الرَّحْمٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًا ﴿٥٨﴾ والحديث، هنا، عن النبيين.

والنبيون هم - هنا - من ذرية آدم، وممن حُمِلَ مع نوح (وليس من ذرية نوح) ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل. فالأغلب، من منطوق هذه الآية، أن الأنبياء كانوا من ذرية آدم، ومن ذرية من حُمِلَ مع نوح (وليس من ذرية نوح) ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل - عليهم السلام، جميعا.

- وإذن «وجعلنا ذريته هم الباقيون» من قومه، معنى التغليب - كما أسلفنا. وهذا.. يُضَعَّفُ القول بأن نوحا له أبناء ثلاثة هم: سام، وحام، ويافث. وكلُّ منهم جدُّ لأقوام من البشر، لأن الأقرب إلى ما يُعتبر أن الأقوام من سلالة الأنبياء - كما كان أصل الناس من سلالة آدم - عليه السلام، وإذن - نوح.. له أبناء: (وجعلنا ذريته..). لكى تعينهم بثلاثة هي الأسماء التي سبقت.. فخيرٌ ضعيف جدا - لم يَرِدْ إلا في التوراة - أصلا. ثم أخذهُ المؤرخون - غفر الله لهم - عن التوراة، من دون تحقيق أو توثيق، وما أكثر ما نقل المؤرخون أخبارا كاذبة، لا أصل لها «موثوقا - وموثقا» ولم يورد القرآن لنوح إلا ابنا واحدا دون أن يُسمِّيَهُ. وقد غرق في الطوفان.

٢ - الحديث الشريف

- استدعيت بواسطة الحاسوب مادة (سام، حام، يافث) فلم أجد إلا حديثا

واحدا «موضوعا»^(١). ضَعَفَ أحد رجاله يحيى ابن معين والبخارى - رحمهما الله - والراوى المُضَعَّف هو: محمد ابن يزيد بن سنان. ثم.. راو آخر هو: يزيد ابن سنان. قال البخارى: مقارب الحديث^(٢). ولكن ضَعَفَهُ يحيى ابن معين وجماعة^(٣).

والراوى المُضَعَّف لا يُؤخَذ بالحديث الذى يكون هو واحدا من سلسلة رواته، إلا إذا رُوِيَ الحديث من طريقة أو طرق أخرى. وهذا الحديث لم يُرَوَّ من طريقة أخرى.

- وهذا الحديث الموضوع هو: «وَلَدُ نوح.. سام وحام ويافت. فولد سام العرب وفارس والروم. والخير فيهم، وولد يافت.. يأجوج ومأجوج، والترک والصقالبة، ولا خير فيهم. وولد حام.. القبط والبربر والسودان»^(٤).

- وهذا الحديث مردود «متنا» أيضا، فلماذا العرب والفرس والروم.. الخير فيهم؟ ولماذا الترك والصقالبة.. لا خير فيهم؟ إنَّ الواقع «يُكذَّب» هذا. فليس العرب والفرس والروم خيرا من الترك والصقالبة. والرسول - الصادق الأمين العادل - لا يقول مثل هذا أبدا. ثم.. إنَّ الفرس والروم.. جنسان مختلفان، الفرس شرقيون والروم غربيون، فليسوا من أصل واحد. إنَّ واضع الحديث «لا بُدَّ من الفرس أو الروم الذين كانوا كثيرين فى دولة الإسلام، وليس كذلك الترك والصقالبة فى بدء دولة الإسلام.

- حاصل هذا.. أن الرسول الأعظم لم يقل: أولاد نوح هم: سامٌ وحامٌ ويافتُ. والمؤكَّد أن الذى صنع هذا القول، وسَمَّاهُ حديثًا قد اعتمد على ما فى التوراة هذه التى لا ثقة بأخبارها. فهو إما يهودى أسلم، أو مُسلم اطلع على التوراة، أو سمع من يهودى. أو هو من الفرس أو الروم - كما ذكرنا تَوًّا. وما أكثرَ الدوافعَ لوضع الأحاديث! ولكن هذا.. خارجُ عن إطار بحثنا^(٥).

التوجُّه نحو المصدرين الباقيين:

إذن.. ما العمل؟

- العمل هو التوجُّه نحو المصدرين الباقيين - التاريخ والنُقُوش. فقد نجد فيهما أو فى

(١) الحديث الموضوع: هو الحديث المصنوع أو المكذوب. أى: وضعه رجل، ولم يقله الرسول الأعظم.

(٢) مقارب الحديث.. أى: أدنى مرتبة من الحديث الحسن.

(٣) هكذا.. وردت العبارة، أى: لم يذكر بالاسم إلا يحيى ابن معين.

(٤) على ابن أبى بكر الهيثمى - مجمع الزوائد - ١ / ١٩٣ - القاهرة / دار الريان للتراث - ١٤٠٧ هـ

(٥) فصلنا الدوافع والأسباب - لوضع الحديث - فى كتابنا المخطوط السابق ذكره: [العصمتان].

أحدهما ما يدعم فرضية العلماء الغربيين المختصين بهذا الشأن - سواء أكانوا مستشرقين أو غير مستشرقين.

٣ - التاريخ

بدأت بالمؤرخين الإسلاميين، وفي مُقدِّمتهم شيخ المُفسِّرين والمُؤرِّخين الإمام محمد ابن^(١) جرير الطبري، في كتابه (تاريخ الرُّسل والملوك).. فلم نجد فيه شيئاً مُوثقاً، بل اعتمد على الحديث السابق المصنوع، فقال: (وقد ذكرنا قبل عن رسولنا - صلى الله عليه وسلم - أنه قال في قوله - عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ «أنهم سام وحام ويافث»^(٢).

أقول: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ أي: هم الباقين من قومه، لا من الخلق أجمعين، لأن الصينيين والفُرس - مثلاً - لم يسمعوا بهذا الطوفان!^(٣) كما أسلفنا.

- ومن البديهي أن المؤرِّخين الآخرين كالمسعودي، والبلاذري، وحتي ابن خلدون - لم يقولوا شيئاً يُضَاف إلى ما قاله الطبري - لأن الطبري هو أسبقهم فقد توفي سنة - ٣١٠ هـ وفعلاً.. لم أجدُ عندهم شيئاً يُضَاف إلى ما قاله الطبري.

- ثم.. انتقلنا إلى التاريخ القديم - التاريخ اليوناني والتاريخ الروماني - من خلال كتاب (المفصلُ في تاريخ العرب قبل الإسلام) للدكتور جواد علي. فلم نجد فيما ورد فيه - منها (وما ورد فيه كثير) شيئاً يُشير إلى أن لنوح ثلاثة أبناء: سامٌ وحامٌ ويافثُ. بل لم تَرِدْ لفظة «سام» إطلاقاً، لا ابناً لنوح، ولا غيره من خلق الله.

ليس العرب من أصل غير عربي

ولقد أورد جواد علي نصوصاً كثيرة مما كتبه المؤرِّخون اليونان والرومان، عن العرب، فلم نجد ولا نصّاً واحداً مثلاً عن أحد ملوك اليمن، أو ملوك الآشوريين والبابليين والسومريين - وهم قُطان العراق، أو ملوك الكنعانيين والفينيقيين - وهم قُطان سورية الكبرى، أو غيرهم

(١) كلمة (ابن) أكتبها دائماً، وفي بدئها ألف، لأن حذف الألف، أينما وقعت، لا يُبرر معقولاً له. فهي مثل ألف (ال القمرية)، فهي تسقط في درج الكلام، ومع ذلك.. لا تسقط في الكتابة. فضلاً عن أن كتابتها بالألف دائماً يجعلها ذات قاعدة واحدة. وهذا.. يُخفف علي طالب العلم كتابتها.

(٢) الإمام محمد ابن جرير الطبري - تاريخ الرُّسل والملوك - ٢١١/١ - القاهرة/ دار المعارف - ١٩٦٦.

(٣) أنظر: سعد زغلول عبد الحميد - في تاريخ العرب قبل الإسلام - ٨٣ - بيروت/ دار النهضة

من ملوك الشعوب الذين قطنوا هذه الأماكن - يؤرخ لحادثة، مثلاً، فيقول: لقد قام - الملك حامورابي الذي ينتمي إلى السومريين - (والسومريون هم: أبناء سام)، قام بوضع شريعة يتحاكم إليها الناس. بل على العكس من ذلك وردت عشرات النصوص في التاريخ اليوناني تذكر (العرب) و(الجزيرة العربية)، منها:

- (ولما أراد الإسكندر احتلال غزة في طريقه إلى مصر.. قاومت المدينة ودافع عنها رجل سَمَاهُ «أريان» - وأريان هذا [هو مؤرخ يوناني] دافع عنها - باتس - أي: باطش، مُستعيناً بجيوش عربية قاومت مقاومة شديدة). وكان ذلك سنة (٣١٥) قبل الميلاد^(١).

- (ونجد في كتاب (تاريخ الإسكندر)، لمؤلفه - كوينيس كورنيوس - خبراً يفيد أن جيوش الإسكندر لم تتمكن من دخول - جزيرة العرب^(٢)).

- ثم (بنى الإسكندر مدينة يُظن أنها «المحمرة».. بُنيت في النّهاية القصوى من الخليج العربي.. عند خطّ ابتداء «العربية السعيدة»، ويقع نهاية - دجلة - على يمينها)^(٣)!

.. ومثل النصوص اليونانية - النصوص الرومانية.

- ومن المؤرخين الرومان (بيلنيوس) المتوفى سنة - (٧٩) ب. م (وقد أشار في مطلع حديثه عن الحملة إلى أن (أوليوس غالوس) كان القائد الروماني الوحيد الذي أدخل محاربي - رومة - جزيرة العرب. وقد خرب مدناً)^(٤).

- وبعد أن كوّن «تراجان» ما يُسمّى بـ «المقاطعة العربية» أو - «الكورة العربية» أراد احتلال كامل العربية السعيدة.

- Prouancia - Arabaca - في سنة - ١٠٥ - أو - ١٠٦ م^(٥).

- (.. فإن القيصر - سباتيميوس - أرسل حملة عسكرية في سنة - ٢٠١ م، توغلت في العربية السعيدة)^(٦).

(١) جواد علي - المُفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - ٨/٢، بيروت/ دار العلم للملايين/ بغداد/ دار النهضة - ١٩٦٨ م.

(٢) المرجع نفسه - ٩/٢.

(٣) المرجع نفسه - ١٢/٢.

(٤) المرجع نفسه - ٥٢/٢.

(٥) المرجع نفسه - ٦٥/٢.

(٦) المرجع نفسه - ٦٦/٢.

- لاحظ، أخی القارئ، أن كلَّ النُّصوص (ومثلها عشرات) تَدُكُرُ العرب والعربيَّة السعيدة، أي: جزيرة العرب. وليس فيها ولا نصٌّ واحد يذكر «ساما» أو «السَّاميين».

٤ - النُّقوش:

يقول الدكتور محمود فهمي حجازي في كتابه (علم اللُّغة العربيَّة): كَشَفَتِ الدراسات الميدانية التي قام بها عدد من الأوروبِّيين، في منطقة شمال الجزيرة العربيَّة، ابتداءً^(١) من منتصف القرن التاسع عشر إلى اليوم عدَّة آلاف من النُّقوش^(٢). وهي ثموديَّة ولحيانية وصفوية. وكُشِفَتِ نصوص أكادية (بابلية وأشورية وسومرية) ونصوص آرامية وفينيقية.

- أقول بيِّدَ أن كلَّ هذه النُّقوش تتحدث عن الأقوام التي ذُكِرَت آنفاً، كل مجموعة تتحدث عن جماعة من هذه الجماعات. ولم يكن فيها ولا نصٌّ واحد، يذكر.. ساما أو السَّاميين أو السَّامية، لا من بعيد ولا من قريب.

بل إنَّ النُّصوص الآشورية تشير إلى العرب الذين يعارضون سياسة آشور، منذ (٨٥٤) قبل الميلاد^(٣).

كاتب.. يعتبر السامية بدعة:

- يقول رجا عبد الحميد عُرابي، في كتابه (سفرُ التاريخ اليهودي): (كما نجح اليهود في ربط أصولهم بأصول شعوب المنطقة العربيَّة عن طريق «بدعة» السامية، كذلك.. أرادوا بدعة (العبرية) وتسمية أنفسهم عبرانيين أن يربطوا تاريخهم بتاريخ شعوب المنطقة)^(٤).

- لاحظ أن الأستاذ رجا عبد الحميد قد سبقني إلى اعتبار السَّامية «بدعة»، كما اعتبرتُها أنا «حُرَافة» لا تقوم إلا على تَحْرُصٍ، وأحاديث مُلَفِّقة. الفرق أنه أطلقها من موقف «سياسي»، ولذلك.. فهو - غالباً - لا يقصد أنها ليس لها أصل وإنما يقصد أن دولة إسرائيل، والصهيونية العالمية ابتدعت اصطلاح السَّامية، بل شعار السَّامية، لكي تُكَمِّمَ به أفواه مُنتقديها. ولذا.. لم يُدَلِّ على بطلان السامية، وأنه لا أصل لها.

أما أنا.. فأطلقتها من موقف «علمي» محض. إذ لا أصل لها حقاً. ولذا.. فقد قُمت - في هذا البحث - بالتدليل على ما قررته سابقاً.

(١) ابتداءً، واستثناءً.. وما شابههما.. أكتُبُنَّه بألف منوَّنة بعد الهمزة، إذ لا مُبرر معقولاً لحذفها إلا وجود قاعدة تقليدية بذلك.. وإلا.. فهُنَّ مثل: سِراعا، واستيداعا.. فهل يجوز أن نحذف الألف المنوَّنة بعد العين؟ والهمزة أخت العين. وقد سبق التفصيل، بعد المقدمة.

(٢) محمود فهمي حجازي - علم اللُّغة العربيَّة - ٢١٩، الكويت/ وكالة المطبوعات - ١٩٣٧م.

(٣) جواد علي - الفصل في تاريخ العرب في الجاهلية - ١/١٦٥.

(٤) رجا عبد الحميد عُرابي - سفر التاريخ اليهودي - ٤٨.

التشابه بين اللغات القديمة في هذه المنطقة ليس دليلاً على السامية

– قرّر المُختصون الغربيون بلغات المنطقة العربية.. ثلاثة أشياء:

١ – هذه اللغات.. بينها «تشابه». ولهذا.. فهي ترجع إلى أصل لغوي واحد، أي: لغة أمّ لها جميعاً.

٢ – هذه اللغة هي اللغة السامية الأولى التي انبثقت عنها هذه اللغات^(١).

٣ – هذه اللسعة الأم؟؟؟ موطنها كان جزيرة العرب.

– أمّا أنّ هذه اللغات.. بينها تشابه.. فهذا.. صحيح. وإن كان افتراض أصل واحد لهذه اللغات.. هو افتراض لا يقوم على دليل «مُقتنع». لأنّ التشابه، في بعض الصفات، لا يعود إلى أنها آتية من أصل واحد. وإنما يعود إلى أمرين:

– الأول: أن اللغات جميعها.. بينها.. بعض الخصائص المشتركة. وأمامي كتاب وجدّ مؤلفه شبها بين العربية والإنجليزية (لاحظ العربية والإنجليزية!) بلغت ألفاً وخمسمائة لفظة (١٥٠٠)، ولم يتناول من المعجم إلا ثمانية حروف^(٢).

– ذلك.. لأن طبيعة الإنسان لا تختلف اختلافاً جذرياً بين شرق وغرب وشمال وجنوب. ولهذا.. فمعظم الأصوات اللغوية هي مُشتركة بين جميع الأمم.

– والثاني: أنه إذا كانت لغات الأرض جميعاً.. بينها بعض التشابه فإنه من البديهي أن لغات المنطقة الواحدة بينها لأبداً، تشابه أكبر، عن طريق تقارب التكوين البيولوجي والفكري لمن يقطنون منطقة واحدة، وعن طريق تقارب الألفاظ بين هذه اللغات، ومحاكاة اللغة الجديدة منها اللغة القديمة ببعض القواعد الصرفية، وتركيب الجمل. وهذا.. لا يقتضى – من حيث العقل والعلم الضروري – وجود لغة أمّ أتت منها هذه اللغات. وإلا.. فإن كل لغات الأرض لها «أم» واحدة. لوجود التشابه بينها.

– ومما يزيد أمر تشابه اللغات – حتى المتباعدة منها في المنشأ – وضوحاً.. أن دarsi عائلات اللغات «اضطربوا» في تحديد موطن ما أسموه (الساميين والحاميين).. فقال بعضهم بأن موطن الشعوب السامية منطقتا دجلة والفرات. ورأى بعضهم الآخر بأن منشأ

(١) محمود فهمي حجازي – علم اللغة العربية – ١٣٩٠.

(٢) أنظر: عبد الرحمن أحمد البوريني – اللغة العربية أصل اللغات كلها، عمان/ دار الحسن للنشر والتوزيع – ١٩٩٨م. وأنا «لا أوافق على أن العربية أصل اللغات، لكن نستخلص من كتابه أن جميع اللغات بينها قدر من التشابه، فكيف بلغات المنطقة الواحدة. وذلك.. لا يستدعي لزوم أصل واحد لهنّ.

الشعوب السامية والهامية.. إنما هي إفريقية أو الحبشة. لماذا؟ لأنهم وجدوا - وهذا هو موطن الاستشهاد - «تقاربا» بين اللغات السامية والهامية. وعندى أن التقارب طبيعى لتشابه الطبيعة البشرية.

- لاحظ أنهم وجدوا تقاربا بين ما أسموه اللغات السامية. واللغات الهامية، فبنوا على ذلك «وهما»، وهو أنهما - إذن - من موطن واحد! بدّل أن ينتبهوا إلى أن تشابه اللغات (فى بعض الخصائص) راجع إلى تشابه الطبيعة البشرية ليس أكثر.

- ولضلالهم فى البحث والاستنتاج عدوا ما أسموه الشعوب السامية، والشعوب الهامية من موطن واحد أصلا، ثم.. افترقا؛ الساميون.. استقروا فى منطقتنا هذه، والهاميون.. استقروا فى إفريقية!

- مع أنه واضح وضوحا كبيرا.. أن هناك فرقا فى لون البشرة، والملامح بين سكان هذه المنطقة، وبين سكان إفريقية، مما يُبعد احتمال أن يكونوا قد نشأوا فى موطن واحد.. - أما الشيء الثالث: فهو افتراضهم وجود (أم سامية).. وهذا ثبت بطلانه، بما أسلفنا من الأدلة.

وكما أن ساما ابن نوح خرافة، لم يرد هذا الاسم إلا فى التوراة غير الموثوقة - كما بيّنا - فإن الجنس السامى، والشعوب السامية واللغات السامية.. مُصطلحات، تقوم على فرض لم يدعمه شيء لا من العلم، ولا من التاريخ، ولا من النقوش.. ونتيجة لهذا.. فليست هذه إلا مُصطلحات جوفاء.. لا حقيقة لها تستند عليها، فيجب اطراحها بلا تردد.

متى عُرف هذا المُصطلح؟

- وضح لنا - مما سبق - أن هذه المُصطلح.. لا أصل له فى القديم، لأنه لا حقيقة له ألبتة.

وأول من أطلق هذه المُصطلح - على اعتباره فرضا - نمساوي، اسمه «أوغست لوديك شلوتسر» عام - ١٧٨١م. وقد أخذ من التوراة، كما سلف القول - والعجب من هذا الرجل - سواء أكان يهوديا أم مُتصهينا - أن يأخذ مُصطلحا من كتاب يعلم كل عالم منصف أن هذا الكتاب غير موثوق. للأسباب التى أسلفنا ذكرها - فلا يجوز الاعتماد على ما ورد فيه، من «الأخبار» خاصة!!

- ثم.. العجب الأكبر من علماء الغرب المُختصين بهذا الموضوع، فرض أطلق..

ثم بعد البحث والتتقيب.. لم يوجد ولا دليل واحد يدعمه، لا من التاريخ، ولا من الحفريات - فكيف لم يعدلوا عنه ويطرحوه، والعهد بالفروض التي لا تثبت بدليل أن يطرحها العلماء؟ أم أن الحضارة الغربية التي تعدّ حملة العهد القديم جزءاً منهم.. لا تريد أن «تزعل» اليهود، فكان أن أبقى العلماء المنحازون هذا المصطلح، برغم أنه تبين أنه خرافة لا أصل لها؟ تبين لهم - كما تبين لنا - لعدم وجود دليل عليه، ولو كان دليلاً واحداً.

- ثم.. العجب الأدهى والأمر من المؤرّخين العرب المعاصرين، واللغويين العرب المعاصرين - الذين انطلت عليهم هذه الخرافة، فأخذوا يُردّدونها، كما تُردّد البيغاوات الأصوات، غير مُتنبّهين أن كل ما يقوله علماء الغرب، حول أصل العرب ولغتهم، وديانتهم - يجب أن نبدأ النظر إليه «بالشك» حتى يثبت أنه صواب. لأن أحقاد الغرب على هذه المنطقة العربية موعلة في القَدَم، منذ أن حاول الإسكندر المقدوني، قبل الميلاد، احتلال العربية السعيدة (أي: جزيرة العرب) ولم يستطع، مروا بالحروب الصليبية، ثم الاستعمار الغربي، ثم.. هذا الاستعمار الاحتلالي الأمريكي الهمجي الغاشم. قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمِمَّا كُنتُمْ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

- ولكن، ما الحيلة وقد كان مفكروا النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والنصف الأول من القرن العشرين مُنْضَبِعِينَ بما يأتي به علماء الغرب، فيظنونونه الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. مع أن الحق أن علماء الغرب - مُستشرقين وغير مُستشرقين - مُنحازون إلى إسرائيل، ومُنحازون «ضد» هذه الأمة الإسلامية، جذورا، وحاضرا، وتراثا وفكرا.

من نحن إذن؟

- إذا كان «سام» لا أصل له، وكان اصطلاح الساميين - تبعا لذلك - واللغات السامية.. لا أصل له - فمن نحن إذن؟
- نحن.. عرب، منذ أقدم العصور. نشأنا في الجزيرة العربية، وخرجت موجات عربية كثيرة من الجزيرة العربية إلى أطرافها الشمالية والشرقية بحثا عن الخصب واعتدال المناخ. ومن هذه الموجات الأكاديون في العراق، وكان منهم السومريون والبابليون والآشوريون. ثم.. الكنعانيون والآراميون والفينيقيون إلى بلاد الشام. ثم.. الموجات العربية، زمن الفتح الإسلامي.

– أما الجدّ البعيد البعيد.. فلا يعلمه إلا الله. وما ذكره المؤرّخون عن تسلسل البشرية من آدم – عليه السلام – إلى نوح – عليه السلام – ثم من نوح إلى اليوم.. ليس إلا رجماً بالغيب، ليس إلا «تخرّصاً وأحاديثاً مُلَفَّقة» كما قال الشاعر العظيم أبو تمام.

– ذلك.. لأنّ الأخبار عن نسل آدم إلى عدنان إنما قام على الرّوايات «الشفويّة» التي يعتورها النسيان، والكذب، والمزاج، والهوى، وحبّ الظهور بمظهر الذي هو بكل شيء عليم. وانعدام المعرفة بمدة عمر الإنسان على هذه الأرض – المدة التي تبلغ مئات الملايين من السنين. فما بين آدم ونوح لعله عشرة ملايين سنة!.

– وما قيل عن خُرافة «السّاميّة» وأباطيلها.. فاعلم أنها «فرضية» لم يؤيّدتها ولا دليل واحد، وما أبقى عليها إلا انحياز الغرب لإسرائيل، وتخطيطهم لمحو «الهويّة» العربيّة، والإسلاميّة، لأنها.. هوية ذات حضارة من أقدم العُصور وإلى اليوم تخالف حضارتهم أما قال شاعرهم (كِبْلَن): (الشرقُ شرق، والغربُ غرب، ولن يلتقيا)؟ ثم.. على الطرف الآخر.. أما قال صادقاً شاعرنا (أحمد شوقي):

وللمستعمرين، وإنّ أنسوا
قلوبٌ كالحجارة لا تَرِقُّ..؟

فلنتناول كل ما يقوله الغربيون عنّا «بمنهج الشك» حتى لا نقبل إلا ما هو حق. وما أقلّ الحقّ عندهم، إذا تناولوا قضايانا، وديننا الحنيف. والله هو العليم الخبير – فالغيب له – ومعرفة الحقّ منحة للإنسان منه.

أقسام الكتاب

القسم الأول: كيف يتعلم الإنسان اللغة؟

القسم الثاني: اللغة العربية.. إلهامية.

القسم الثالث: التعرف على عبقرية العربية الفصحى.

القسم الرابع: العربية والتعريب - والنظر المعاصر - فيها.